# الشـــطرنج

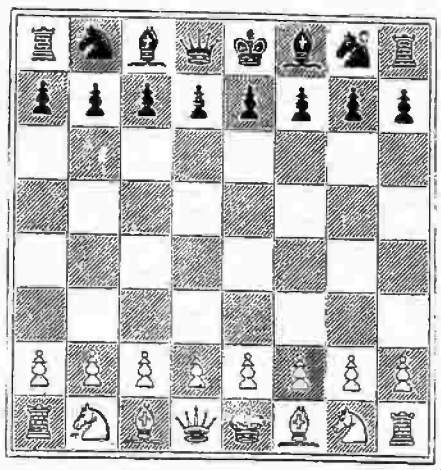

الشطرنج لُعبةٌ مُسلِيَةٌ، يَهْواها الكَثيرُونَ، وهِيَ تَتَطَلَّبُ اليَقَظَةَ والحَذَرَ وسُرْعَةَ الخاطِرِ، يَلْعَبُها المُلُوكُ كَما تَلْعَبُها العامَّةُ، ويَتَسَلَّى بِها الكِبارُ كَما يَلْهُو بِها الصِّغارُ. وقَدِ اخْتَلَفَتِ الآراءُ كَثيراً فى أَصْلِ هٰذِهِ اللُّعْبَةِ فَنُسِبَتْ إِلَى أُمَمٍ كَثيرَةٍ وَإِلَى أُناسٍ كَثيرِينَ، وَلٰكِنَّ الرَّأْيَ الرَّاجِحَ أَنَّ مَهْدَ الشَّطْرَنْجِ الهِنْدُ. وَقِصَّةُ مَنْشَئِهِ أَنَّهُ كانَ فى الهِنْدِ مَلِكٌ يُدْعَى «جُهُورَ»، وَكانَتْ لَهُ زَوْجٌ راجِحَةُ العَقْلِ سَدِيدَةُ الرَّأْيِ، وَقَدْ رُزِقَ مِنْها غُلاماً أَسْماهُ «كَوا». وَماتَ «جُهُورُ» وابْنُهُ لا يَزالُ صَغيراً، وَكانَ قَدْ أَوْصَى لِزَوْجِهِ بِالمُلْكِ فَحَكَمَتِ النَّاسَ حِيناً بِالعَدْلِ والحِكْمَةِ، فَكانَتْ مَوْضِعَ إِعْزازِ الجَمِيعِ.

وَكانَ لِجُهُورَ أَخٌ اسْمُهُ «مَلِى» فَتَزَوَّجَتْهُ المَلِكَةُ وتَوَلَّى عَنْها المُلْكَ ورُزِقَ مِنْها غُلاماً سَمّاهُ «طَلْخَنْدَ»، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ ماتَ «مَلِى» بَعْدَ عامَيْنِ مِنْ ميلادِ طِفْلِهِ فَتَوَلَّتِ المَلِكَةُ حُكْمَ النَّاسِ مَرَّةً أُخْرَى.

وَبَلَغَ «كَوا» السّابِعَةَ، وأَخُوهُ لَمْ يَزَلِ ابْنَ عامَيْنِ، فَعُهِدَ بِهِما إِلَى عالِمَيْنِ يُؤَدِّبانِهِما ويُعَلِّمانِهِما، حَتَّى كَبِرا، وَبَرَعا فِي الأَدَبِ، وتَرَشَّحا لِلْقِيامِ بِأَعْباءِ المُلْكِ.

وَكانَ كُلٌّ مِنَ الأَمِيرَيْنِ يَخْلُو بِأُمِّهِ وَيَسْأَلُها عَنْ رَأْيِها فِيمَنْ يَصْلُحُ مِنْهُما لِلتّاجِ، فَكانَتْ تَقُولُ دائِماً: «التّاجُ لِمَنْ يَكُونُ أَبْرَعَ فى الأَدَبِ وأَجْمَعَ لِمَكارِمِ الأَخْلاقِ.» وَكَبِرَ الأَخَوانِ وَبَلَغا مَبْلَغَ الرِّجالِ. فَأَخَذا فى التَّحاسُدِ والتَّشاحُنِ والنِّضالِ. وكانَتْ أُمُّهُما تَمِيلُ إِلَى «كَوا» لِكَوْنِهِ أَكْبَرَ سِنّاً وأَرْجَحَ عَقْلاً ولِذٰلِكَ قَسَّمَتْ أَمْوالَها وكُنُوزَها مُناصَفَةً بَيْنَ الاثْنَيْنِ. ثُمَّ قالَتْ لِطَلْخَنْدَ: «بايِعْ أَخاكَ عَلَى المُلْكِ كَما فَعَلَ أَبُوكَ مَعَ أَخِيهِ — ولا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ.» وَلٰكِنَّ «طَلْخَنْدَ» لَمْ يَرْضَ بِذٰلِكَ، وأَعْلَنَ العِصْيانَ عَلَى أَخِيهِ.

وَتَحَزَّبَ القَوْمُ بَيْنَهُمْ شِيَعَيْنِ: وَانْضَمَّ كُلُّ واحِدٍ إِلَى مَنْ يَمِيلُ إِلَيْهِ. وَحاوَلَ «كَوا» أَنْ يَنْصَحَ أَخاهُ ويُحَذِّرَهُ عاقِبَةَ

العصيان، ولكنَّ طَلْخَنْدَ لَمْ يَأْبَهْ لِلحديثِ، وَلَمْ يَسْتَمِعْ إِلَى نُصْحٍ، بَلْ أَخَذَ مِنْ فَوْرِهِ يُعِدُّ الْعُدَّةَ لِقِتَالِ أَخِيهِ، وَلَمْ تَلْبَثِ الْحَرْبُ أَنْ وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا. وَلَمَّا اصْطَفَّ الْجُنْدُ وَتَقَابَلَ الْجَمْعَانِ شَعَرَ «كَوا» بِالإِشْفَاقِ عَلَى أَخِيهِ، وَعَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَقِفَ مِنْهُ ذٰلِكَ الْمَوْقِفَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ يَنْصَحُهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَكُفَّ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يُقَسِّمَ الْمُلْكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ، فَأَبَى طَلْخَنْدُ وَاسْتَكْبَرَ وَأَصَرَّ عَلَى الْعِنَادِ وَالْقِتَالِ.

وَالْتَقَى الْجَمْعَانِ وَوَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ وَكَانَتِ الْغَلَبَةُ فِيهَا لِكَوا وَتَفَرَّقَتْ جُنُودُ طَلْخَنْدَ وَكُسِرَتْ شَرَّ كَسْرَةٍ. فَلَمَّا رَأَى طَلْخَنْدُ مَا حَلَّ بِرِجَالِهِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْهَمُّ وَالْأَسَى، وَمَاتَ مِنْ فَرْطِ الْحُزْنِ، وَسَمِعَ بِذٰلِكَ أَخُوهُ فَحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا، وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا، وَأَسْرَعَ إِلَى أُمِّهِ يَرْوِي الْخَبَرَ، فَلَمْ تُصَدِّقْ أُمُّهُ أَنَّ «طَلْخَنْدَ» مَاتَ مَوْتًا طَبِيعِيًّا، بَلِ اتَّهَمَتْ أَخَاهُ، وَأَخَذَتْ تُعَنِّفُهُ وَتُوَبِّخُهُ. فَقَالَ لَهَا فِي يَأْسٍ وَقُنُوطٍ: «إِنْ لَمْ تُصَدِّقِينِي يَا أُمَّاهُ أَحْرَقْتُ نَفْسِي.» فَأَدْرَكَتْ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ، وَقَالَتْ لَهُ: «إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ فَأَوْضِحْ لِي مَا جَرَى فِي تِلْكَ الْمَوْقِعَةِ، فَلَعَلِّي أَتَسَلَّى بِذٰلِكَ، فَيَخِفَّ مَا بِي مِنَ الْحُزْنِ وَالْجَزَعِ». فَاسْتَشَارَ «كَوا» وَزِيرَهُ وَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُمَا عَلَى أَنْ يَجْمَعَا حُكَمَاءَ الْهِنْدِ لِيُصَوِّرُوا سَاحَةَ الْحَرْبِ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَجُنْدٍ وَفِيَلَةٍ، فَاسْتَحْضَرُوا الْأَبْنُوسَ وَالْعَاجَ، وَصَنَعُوا مِنْهُمَا تَمَاثِيلَ صَغِيرَةً، ثُمَّ صَفُّوهَا صُفُوفًا مُتَقَابِلَةً وَجَعَلُوا كُلَّ مَلِكٍ فِي قَلْبِ جُنْدِهِ، وَعَلَى يَمِينِهِ وَزِيرُهُ، وَإِلَى جَانِبِ كُلٍّ مِنْهُمَا إِلَى الْأَمِينِ وَإِلَى الْيَسَارِ فِيلٌ، وَبِجَانِبِ الْفِيلِ فَرَسٌ وَبِجَانِبِ الْفَرَسِ رُخٌّ يَرْكُضُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً. وَاصْطَفَّ الْجُنْدُ صَفًّا أَمَامَ هٰؤُلَاءِ جَمِيعًا ثُمَّ وُضِعَ نِظَامٌ لِحَرَكَةِ كُلٍّ مِنْ تِلْكَ الْقِطَعِ يُمَثِّلُ حَرَكَتَهَا فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ. وَعَلَى هٰذَا الْأَسَاسِ أَخَذُوا يَلْعَبُونَ كَأَنَّهُمْ يَتَحَارَبُونَ حَتَّى انْتَصَرَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ وَسَدَّ الطَّرِيقَ عَلَى الْمَلِكِ، فَنَظَرَ، فَرَأَى رِجَالَ الْعَدُوِّ قَدْ أَحَاطُوا بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَسَدُّوا عَلَيْهِ كُلَّ مَسْلَكٍ، فَسَقَطَ مِنَ الْهَمِّ وَالْأَسَى فِي وَسَطِ الْمَيْدَانِ مِنْ دُونِ أَنْ يَمَسَّهُ أَحَدٌ.

وَظَلَّتْ أُمُّ «طَلْخَنْدَ» تَتَسَلَّى بِمُشَاهَدَةِ الشِّطْرَنْجِ يُلْعَبُ بِهِ عِنْدَهَا حَتَّى مَاتَتْ.